

سامي مهدي يفك أسطورة أكثر الشعراء الفرنسيين جدلاً

## أكانت بشاعة أم رامبو سبب شذوذه؟



حسين سرمك حسن

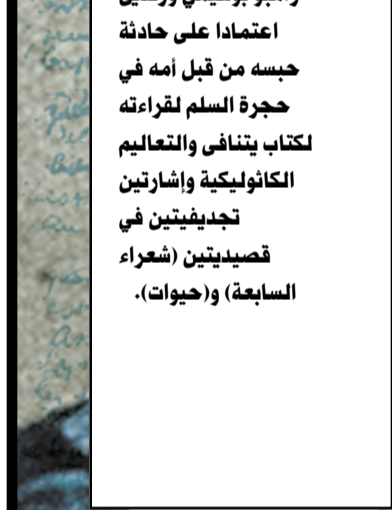
بغداد

ترجم مترجم عربي معروف الاعمال الكاملة للشاعر الفرنسي الأسطورة آرثور رامبو وفي تعليقه على إحدى قصائده رامبو التي يذكر فيها في إشارة إلى ذروق (براز) نوع معين من الطير ، وضع المترجم هامشا يقول فيه: وقد اثبت العلم أن ذروق الطير تصلح سعاداً للنباتات !! وضع الف علامة استفهام عن هذه الروح الذيلية المنيرة حد الانعصاب، فقبل رامبو بمئات السنين كان اسبط فلاح يعرف أن ذروق الحيوانات مفيدة ويستخدمها كسماد في الزراعة .

سامي مهدي يفك أسطورة رامبو: ووفق نفس الروح المنيرة تم تصنع أسطورة هائلة لإحقتنا منذ أكثر من قرن ونصف حتى في غرف نومنا! صحيح انها أسطورة اثبتت على ركائز عملية منها نبوغ رامبو الشعري المبكر ودوره الشعري الريادي وحياته العاصفة وسلوكه المنحرف المتقلب ومشاركاته السياسية، إلا أن الأوراق

المعجب اللغوي metalanguage? الباهر والمغيب لانتباهه المتلقى بعد شلاع القلب، إنه التفكيك العلمي الموضوعي الذي يقوم على تحديد الظاهرة المعنية ودراسة طبيعتها ومكوناتها في ضوء مراجعات تاريخية شاملة تم عزل هذه المكونات لدراسة كل منها بروح نقدية هادئة مسلحة بخلفية موسوعية عن كل مكون ومحاولة ربطه بالمكونات الأخرى ثم إعطاء تقييم نهائي بعد تقييم كل مكون على حدة، ويشير سامي إلى أنه وضع كتابه هذا منذ أواسط تسعينيات القرن الماضي وأنه لم يراجعه نظروف خاصة إلا قبل مدة وجيزة: (وقبل أن اشروع في تأليفه قررت أن اهتم كل فرضية سابقة من فرضياتي وأبدأ من الصفر، وكأنتي لم اقرأ أسيرة رامبو وشعره من قبل، كنت اقرأ فأحسها مدققا، وكأنتي حاستي النقدية بقفزة دائما، فلم أكن أقبل شيئا مما اقرأ إلا بعد تمحيص ومحاكمة. وإذا بي أخرج من كل ذلك النتيجة نفسها، وهي أن رامبو الحقيقية هو غير رامبو الأسطورة وإن الفجوة بين الحقيقة والأسطورة جد واسعة - ص 8).

إن المهمة التي تصدى لها سامي جد صعبة لأنها تعني إلغاء صورة نمطية ترسخت طويلا جدا في وجدان المثقفين والنادد حتى أصبح رامبو محبوبا



رامبو بوهيمي وزنديق  
اعتمادا على حادثة  
جسسه من قبل أمه في  
حجرة السلم لقراءته  
لكتاب يتنافى والتعاليم  
الكاثوليكية وإشارتين  
تجديفتين في  
قصيدتين شعراء  
السابعة (وحيوات).

رامبو

اختلطت علينا كمتلقين - خصوصا مع تشكاد الزمن وتراكم الوقائع المسروقة وشحوب الواقع الفعلي - فلم نعد نعرف ما هو مقدار الحقيقة من الأسطرة والتلفيق وحتى الكاذب في خلق نموذج رامبو وتاليه شعريا ومعرفيا وسلوكيا: رامبو بوهيمي، رامبو أبو الحداثة.. رامبو منظر الشعر الحديث.. رامبو منشاء جلال العالم.. رامبو تاجر سلاح .. رامبو شاذ جنسيا.. رامبو يعرف عشر لغات.. رامبو شيوعي شارك في كومونة باريس.. و.. وغيرها الكثير

الكثير الذي جعل الأسطورة تغطي على الواقع بل تحل محله، ولم تلفت احد إلى هذه الظاهرة عالميا سوى الفرنسي رنه إتياميل وسوزان برنارد، وعربيا عبد الغفار مكاوي وخلييل الخوري في إشارات حكيمة أحيانا ومبتسرة وسريعة في أحيان أخرى، فمن يستطع التحرش بأسطورة رامبو مالى الدنيا وشاغل الناس في الشعر الحديث؟

لكن الباحث والشاعر الكبير سامي مهدي يتصدى لهذه المهمة العصبية فيقدم جهدا فريدا وموضوعيا محكما في كتابه الجديد آرثور رامبو: الحقيقة والأسطورة - قراءة مختلفة لسيرة رامبو وشعره وتفوهات النظرية والذي صدر عن دار مجلة بغداد مؤخرا. في هذا الكتاب قام سامي مهدي ب تفكيك أسطورة رامبو تفصيليا لك استنباك الحقيقة وهي محدودة وعادية في كثير من الأحوال من خطوط الأسطرة والتلفيق وحتى الكاذب في ما كتب عن رامبو. ونحن نقول تفكيك فإنتي لا أقصد ذلك على الطريقة التفكيكية الريدية التي لن تحصل منها على حق أو باطل إلا

مقدسا بتسامي على النقد والدرس. تكون الكتاب (228 صفحة) من فصلين وخاتمة. تناول الباحث في الفصل الأول: رامبو: السيرة والسلوك، قراءة معيارية وفق مراجعة نقدية صارمة فكك فيها نسج أسطورة رامبو ليكشف حقيقة كل هالة أسطورية أضفيت على كل سمة من سمات الشاعر. وسنرسم بعضا من استنتاجات الباحث على الشكل التالي:

### الطفل العبقري

الأسطورة: رامبو بوهيمي وزنديق اعتمادا على حادثة جسسه من قبل أمه في حجرة السلم لقراءته لكتاب يتنافى والتعاليم الكاثوليكية وإشارتين تجديفتين في قصيدتين شعراء السابعة (وحيوات). الحقيقة: لم تكن أمه منزمنة دينيا بل متسامحة، طرا الكفر عليه بعد لقائه بعمله جورج إيزاميان، ولزيمه خلال مرحلة مؤقتة من حياته، اامت أربع سنوات، وانتهت بما قدمه من اعترافات في كتابه (فصل في الجحيم).

الأسطورة: أمه، رسم المؤرخون لها صورة بشعة جدا سميت سلوكه الشاذ: زوجة قبيحة سيئة الخلق وأم صارمة واخت بخيلة محتالة وجدة أئيمة.. الخ. الحقيقة: عالمت أربعة أطفال. لم تكن بخيلة. منظمة مدبرة. علمت إبنتها وأنفقت على تعليمه بسخاء وحين لمست نبوغه استأجرت له معلما خاصا باللغة اللاتينية واليونانية. تبرعت بطبع كتابه (فصل في الجحيم). خفت إليه إلى لندن لترعاه وهو مريض. المؤرخون بشنعوا صورتها لتكون أسطورة من أساطير الشر تقابل أسطورة ابنتها الطفل العبقري الضحية فأضفوا على بوهيميته وزنديقته معاني الشهادة.

الأسطورة: في المدرسة كان نكاؤه اسطوريا ولكنه مشاغب قطع. الحقيقة: لم يكن مشاغبا. ذكي جدا وملتزم وهادئ وخجول وموافق بنال الجوائز. تغير سلوكه في السنة الأخيرة من دراسته في (معهد شارلغول). ما نقل عنه هو ذكريات معلميه واصفاته رويت بعد أكثر من ربع قرن ومصنوعة بطريقة تلائم

النموذج البوهيمي). الأسطورة: مقاتل في كومونة باريس خصوصا في الأسبوع الدامي. انعكست مشاركته على شعره كقصائد: خلاعة باريسية والقلب المسروق واغنية حب باريسية. الحقيقة: لم يلتحق بثوار الكومونة ولم يشهد أيا من أحداثها، فرحلته الأولى إلى باريس كانت في 25 شباط 1871 واستمرت حتى 10 آذار 1871 أي قبل اندلاع المعركة التي يزعم أنه حضرها بنحو شهرين. الكتابة ملفقة من قبل أخته إيزابيل وزوجها المؤرخ بريسون وصديقه دولاهيه.

الأسطورة: كان رامبو شادا جنسيا بسبب (نداء داخلي غامض) يزين له أنه على صواب في كل ما يفعله، وأن من شروط الشاعر الرائي عنده أن يمارس (كل أشكال الحب والمعاناة والجنون). الحقيقة: تغير سلوكه الجنسي بعد اغتصابه من قبل بعض الجنود في باريس. كل علاقاته بالنساء من خيال المؤرخين. كان غلثي، خدمت أحاسيسه الذكورية منذ بلوغه سن الرشد وبعد اغتصابه. هو الذي أعوى فرلين بالعلاقة السلبية وكانا يتباهيان بعلاقتها في لندن. لا رؤيا ولا تجريب. الأسطورة: رامبو الرجل المشاء أو المشاء الكبير أو المشاء الذي لا يكمل. قال في إشراقه: طفولة (أنا مشاء الطرق الكبيرة) فحول المؤرخون الجواز الشعري إلى حقيقة.

الحقيقة: ليس هناك مسيرة راجلة محققة سوى واحدة وصفها رامبو نفسه في رسالة إلى عائلته، ولا يستحق نسج أسطورة منه ولا يسوغ وصف رامبو بسببه بالرجل المشاء. الأسطورة: رامبو صامت دائما لأن صمته أصبح مهنما كلامه) وصمته (قرار ضميري) بحفا (عن الحكمة الأبدية الأولى) وهو ياس من الغرب .. الخ.

### الاستخلاص والاستنتاج

الحقيقة: صمت بعد الإهمال الذي واجهه في باريس بعد أن عاد إليها محملا بفضيحة بروكسل المبوية (أصابه فرلين بطلقة بسبب تمنعه عليه) وخديته في تحقيق طموحاته الأبدية .. الخ فاختر حياة أخرى غير حياة الأب.

الأسطورة: رامبو رجل التيه الضارب في الجهول والباحث عن المطلق. الحقيقة: سار في مسعى عملي واضح كتاجر ولا يحمل أي بعد ميتافيزيقي أو وجودي (الأساطير والحقائق السابقة من ص 22 - 113).

وعلى هذا المنوال البحث العميق المدعم بالأبلة والأسانيد غير البحث والتامل العميق يفك سامي مهدي اساطير أخرى الصقت برامبو وفيركت مثل : رامبو رساما .. رامبو يتغن اثنتي عشرة لغة أجنبية .. رامبو السريالي .. تسييس رامبو .. الخ. أما الفصل الثاني فهو الأكثر أهمية وهو: رامبو: المنظر والشاعر، حيث لم يقتصر بناء أسطورة رامبو على خلق رامبو آخر في سيرته وسلوكه، غير رامبو الحقيقة، بل اتخذ التحويل والمبالغة والتلفيق أداة في كل أمر يتعلق به، ومن ذلك ثقافته الأبدية والفكرية. فقد صور المؤرخون رامبو متوقفا على ثقافة واسعة وعميقة غدت موهبته الشعرية وجعلته منظرًا للشعر

الحديث، ومصدرا لإتجاهاته وتياراته المختلفة. في حين أن الدلائل تشير إلى أن ثقافته قبل رحيله إلى باريس ومصاحبته فرلين لم تكن من الحداثة والمتهجبة بحيث تسمح له بان يقدم أفكارا نظرية ذات شان في الشعر. أما بعد رحيله إلى باريس فلم يخصص أي وقت لبناء ثقافته . ونفس الشيء يقال عن حياته في لندن مع فرلين ونوفو. كان يجهل الآداب الأجنبية جهلا شبه تام، بما فيها المترجم منها إلى اللغة الفرنسية. والكتاب الأجنبي الوحيد الذي ذكر في سيرته هو (فاوست) لغوته الذي طلب من صديقه (دولاهيه) أن يشتريه ويرسله إليه أيام كان يوق (فصل في الجحيم). لا يمكن نكران ميزة رامبو القارى: نكاؤه الصاد ورهافة إحساسه وقدرته على الاستخلاص والاستنتاج مما يقرا واستلهامه في بناء أفكار خاصة به كانت هي مادة أفكاره النظرية حول الشعر والحياة والدين والتاريخ (ص 117 - 125).

وبرغم ذلك جعل المؤرخون المحازون رامبو منظرًا للشعر. لقد طرح رامبو الأمور النظرية التالية في رسالة من ست صفحات من القطع الصغير موجهة إلى صديقه (بول ديميتي): «الشاعر ، في رأيه، يجب أن يكون (رائيا) وهو يعمل على أن يكون ذلك (الرائي). - والرائي الحقيقي هو من يعمل على (الوصول إلى الجهول). - والوصول إلى الجهول يتم عن طريق المعاناة والتشويش الكامل لجميع الحواس. - على أن ابتكار الجهول يتطلب من الشاعر الكتابة بأشكال جديدة وإيجاد لغة كونية (ص 128).

وأغلب هذه الأفكار ليست من عندياته فهي إعادة إنتاج لأفكار بولدير الأساسية تبثاها وكانها أفكاره الخاصة. كما أن فكرة (الرائي) كانت معروفة ومتداولة لدى الرومان الذين كانوا يسمون الشاعر (الرائي) وتحدث بها: ميشيليه ومونتتاني وريتان وجاك رينو ويلزك وفكتور هوغو وغوتيه وغيرهم. كما أخذ عن بولدير أفكار الوصول إلى الجهول عن طريق تشويش الحواس بتعاطي الكحول

سامي مهدي.

## عندما يتهافت الفن

عباس الحسيني



الولايات المتحدة

إن أنموذج حسام الرسام ومن يتقن على شاكلته، ظناً منه انه يؤدي نمطاً غنائياً، لهو أخطر على الناس من تآثير الطواغيت والحاكم الدكتاتور والانظمة الفاسده، بل هم أشد خطراً من الاقتصاد الضعيف والفساد الاداري والارهاب والتطرف، واخطر من كل سلبيات الحياة المعاصرة. ذلك ان الطغاة والسلاطين الفاسدين، قد يظلمون الشعوب بقسوة السلاح، لكنهم غير قادرين على تغيير ذاتقتهم وتحسسهم للجمال والطبيعه والنبل الانساني، بل ان الإقتصاد والفقر والحاجة الملحة كل ذلك قد يضعف الانسان، لكن لا تغير لأدمية الانسان. وأن الإرهاب والتطرف قد يقرضان، لكن الاثر السيء باق بين الناس، لانه يحمل قناعاً مزيفاً وهمياً بسمات فنية . كما يتصرف المتذولون ببضائعهم الفاسده. انهم وباء يستشري بين صغار السن ولقيلي الخبره، مع شححات من العنف الكلامي، ورخص الحسنيات الجسدية المرغوبة لدى المراهقين، يرافقها ضجيج آلات تنتج العنف والبيع والاستهتار، بدلا من الحب والابداع والكلمة المؤثرة، التي تهدي المشاعر الانسانية وتشذب، بل وتخفف من الالم اليومي لمعاناة العاشق ومكابدات الانسان. ان الصحف التي تنشر اخبار هؤلاء القنوات الفضائية التي تبث سمومهم، وسامسة الفن الرخيص الذين يقدمون لهم أثمانا سخية، لكي يستمروا في نشر وبائهم الخطر، كلهم مسؤولون امام محكمة الضمير الانساني، واذا استغربنا واستفهمنا في يوم من الايام عن الاسباب والدوافع التي صنعت او قد تصنع مجرما او اراهبا او فاشلا في مسارات الحياة، فان واحدة من هذه الاسباب هو الزاد المسموم الذي تتناوله شريحة من اليافعين، الذين يكون الفن اقرب الى مخيلتهم وذائقتهم الجمالية، والموسيقى على وجه الخصوص، وبوجود هذه التمازج الطارئة على مسرح الحياة ستتحول النصوص الغنائية المتبدلة شيئاً فشيئاً الى شعار ومبدا ومنهج لهؤلاء اليافعين، وهو ما لاترضاه النفيس ولا يستسيغه العقل الانساني المض. انها مسؤولية الجميع، من قنوات إعلامية مسموعة ومرئية، ومن مربين ومتتبعين.

واذا استغربنا واستفهمنا في يوم من الايام عن الاسباب والدوافع التي صنعت او قد تصنع مجرما او اراهبا او فاشلا في مسارات الحياة، فان واحدة من هذه الاسباب هو الزاد المسموم الذي تتناوله شريحة من اليافعين، الذين يكون الفن اقرب الى مخيلتهم وذائقتهم الجمالية، والموسيقى على وجه الخصوص

واذا استغربنا واستفهمنا في يوم من الايام عن الاسباب والدوافع التي صنعت او قد تصنع مجرما او اراهبا او فاشلا في مسارات الحياة، فان واحدة من هذه الاسباب هو الزاد المسموم الذي تتناوله شريحة من اليافعين، الذين يكون الفن اقرب الى مخيلتهم وذائقتهم الجمالية، والموسيقى على وجه الخصوص

خطرة بين المومسات